تجار الأدب . . .

للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

لا نقصد أولئك الذين يبيعون الكتب ناشرين أو وراقين ، بل نعنى أولئك الذين يتصدون للآداب والعلوم والفنون والفلسفة فيؤلفون فيها ، ويطلعون على الجمهور بثمرة قرائحهم ، لا يخدمون بذلك أدباً ولا يفيدون علماً ، بل يطلبون ربحا ويطمعون فى ثروة فجعلوا من الأدب تجارة ، وأنزلوا العلم منزلة السلع الرخيصة .

ومن سوء الحظ أن هذه الظاهرة صحبت الحرب الأخيرة منذ بدايتها ، إذ انقطعت أسباب الحصول على الورق ، وتسنى لهؤلاء القوم بأساليب لا تمت إلى الشرف بصلة أن يحصلوا على الورق اللازم للطبع ، ووجدوا المطابع متعطشة فدفعوا إليها بهذه الثمار الفجة ، وخرجت إلى السوق هذه الكتب العجيبة ، ليس فيها أثر من جهد أو بارقة من تفكير ، وإنما هى ألفاظ مرصوصة يسود بها أصحابها صحائف الورق ، ويملأون دفتى الكتب .

وكيف تريد أن يكون الأمر غير ذلك ، وبعض هذه الطائفة يخرج فى كل شهر كتاباً ، لو أنفق فيه عالم يمتاز بالضمير ويتصف بالتثبت أعواماً لوجد أنه فى حاجة إلى مزيد من الأعوام .

سئل أحد الناشرين : كيف تطبع لفلان ؟ فقال : « إن الجمهور يقبل عليها كما يقبل على الفول السودانى » وهو تشبيه يقصد به إلى المدح والذم على السواء . ولعله كان يرمى إلى التحقير فما عهدنا أن الكتب توصف بالتشبيهات المادية القليلة الشأن .

ولقد مضى زمن الحرب الذى انقلبت فيه الأوضاع ، فعادت سوق الأدب إلى سابق حريتها ، ووجد الفضلاء سبيلهم إلى المطابع بالطرق الكريمة التى لا تنافى الذوق أو الشرف ، فانكشف أمر أولئك القوم وباءت كتبهم بالخسران ، وزحمت رفوف الوراقين وأكبر الظن أن مصيرها سوف يكون إلى باعة « الفول السودانى » يلفون فيها بضاعتهم فى « القراطيس » .

ولعلك تعجب معى وتسأل عن السر فى بضاعة القوم كيف يتسنى لهم التأليف فى كل شهر ، وهل اتسعت مداركهم ، وسمت عقولهم ، وارتقى تفكيرهم إلى الحد الذى يسمح لهم بتسويد صحائف كتاب جديد كلما طلع الهلال الجديد .

إنهم يفعلون أحد أمرين : الأول السطو على بعض الكتب الأجنبية ، ثم نقل فكرتها نقلاً خاطئا ، ثم ينسبون الكتاب إلى أنفسهم زوراً وبهتاناً . وهذه المسألة تعرف بالسرقة الأدبية . وهؤلاء هم لصوص الأدب . يريدون أن يقول الناس عنهم إنهم من كبار المؤلفين الذين يُرجع إليهم ، وهى نزعة تخلو من الأمانة على كلا الحالين ، فهم غير أمناء فى نسبة موضوع إلى أنفسهم وحقيقته لغيرهم ، وغير أمناء فى نقل الفكر ، ولو كانوا قادرين على النقل وحسن التعريب لأعلموا ذلك .

والأمر الثانى أن يتجهوا إلى الترجمة الصريحة ، وقد زادت هذه الحركة فى الأيام الأخيرة ولكننا نرى المتصدين لها ، أو أغلبهم ، لا يحسنون التصرف ولا يجيدون التعريب ، لقلة خبرتهم ، ونقص علمهم بالموضوع ، وعجزهم فى كلتا اللغتين الأجنبية التى ينقلون عنها ، والعربية التى ينقلون إليها .

ولكنه بريق الكسب يستهوى هؤلاء وأولئك فيدفعهم إلى التسرع ، والسرعة كما قال الزيات فى مطلع كتابه « دفاع عن البلاغة » إحدى آفاتها . وهى لعمرى إن كانت مزية الحضارة الحديثة فهى آفة الإنتاج الجيد فى كل شىء ، مادياً كان أم معنوياً ، وهى فى الآثار العلمية والأدبية أخطر .

كنا فى صدر الشباب نحضر العلم فى الجامعة المصرية على أستاذنا الدكتور منصور فهمى ، ومن أقواله المأثورة التى لا يزال طلابه يحفظونها عنه ويروونها فى المناسبات « اطلبوا العلم للعلم » وكان بعضنا يتحدث إليه فى وجوب السعى لدى أولى الأمر فى الحكومة ليمنحوا المجال للخريجين فى الجامعة والحاصلين على إجازة كلية الآداب فى وظائف الدولة ، فكان يرد عليهم بقولته المأثورة « اطلبوا العلم للعلم » . وما كنا فى ذلك الوقت نحسن تفسير هذا الكلام أو نفهم مراميه البعيدة . هل يطلب العلم للعلم وهل يفضل أحدنا العلم على المال ؟ وهل يغنى العلم وحده فى سد مطالب الحياة ؟ .

لا نقول إن العلم سبيل الحصول على المال ، ولو عكسنا القضية لصح المقال ، إذ الواقع من التاريخ أن المال كان غذاء العلم ، ولقد

عاش العلماء فى قديم الزمان على بذل الملوك والأمراء والأغنياء وما كانوا ينفقونه عن سعة فى سبيل العلم ، وأوقاف الأغنياء المحبوسة على مصلحة العلم والعلماء خير شاهد على ذلك . وكان العلماء من جهتهم زاهدين لا يحفلون بملبس أو مشرب أو مأكل لأن همهم كله منصرف إلى طلب العلم ولذتهم فى تحصيله . وكانت أيديهم تزخر فى بعض الأحيان بالمال فينفقونه فى أوجه الخير والبر .

الخلاف إذن فى الغاية ، هل العلم غاية فى ذاته تطلب لذاتها أم وسيلة لغاية أخرى هى المال ؟

ولا مراء فى أن التضحية بالعلم والأدب فى سبيل الأهداف المادية هو الإنحطاط والإسفاف ، ومَن كانت غايته الثروة فليطلبها فى تجارة السلع المختلفة فهى أكثر للمال إدراراً . ولقد حكى أرسطو فى كتاب السياسة أن أحد فلاسفة اليونان الأقدمين عيّره القوم بقلة ذات اليد والانصراف عن الدنيا ، فاعتزم فى نفسه أمراً ، فذهب فى الشتاء إلى أصحاب المعاصر واستأجرها منهم بأجر زهيد ، فقالوا : هذا مجنون ماذا يفعل بالمعاصر فى هذا الوقت وليس لها عمل ؟ فلما جاء الصيف ، وأراد الزراع عصر العنب لاستخراج النبيذ ، طلب منهم أجرة مضاعفة ، ولم يسعهم إلا الدفع لأنه كان قد احتكر جميع المعاصر . وأرى من هذا الأمر ثروة كبيرة ، فأثبت للقوم أن الفلاسفة لو أرادوا المال لحصلوا عليه ، ولكن بغير طريق الفلسفة !

والسؤال الآن : هل نترك هذه الطائفة أحراراً فى أعمالهم يسيئون إلى العلم والأدب ، ويفسدون الذوق ، ويُشيعون الخطأ ، ويذيعون الباطل ، أم يوكل أمر الكتب إلى هيئة تميز بين الغث والسمين والصحيح والفاسد فلا تجيز إلا الصالح ؟

يقول قوم نحن فى عصر الديمقراطية وأساسها الحرية وعلى الخصوص حرية الرأى والفكر ، فكيف تريد أن تحد من هذه الحرية التى ناضلت البشرية فى سبيلها أجيالاً طويلة ؟ إنكم لو فعلتم ذلك ، لرددتم الإنسانية إلى أظلم عصورها وأحلك أزمنتها ، يوم كان عقاب الأحرار أن تحرق كتبهم ويلقى أصحابها فى غياهب السجون .

والقياس هنا مع الفارق ، لأن فلاسفة القرون الوسطى كانوا يطلعون على الناس بثمرة أفكار جديدة ينتقدون فيها آراء الشائعة من قديم الزمان ، أما مؤلفو مصر فى هذا الزمان ، فإنهم لا يفكرون تفكيراً جديداً ، ولا ينتقدون قديماً ، ولا يكتشفون كشوفاً حديثة ، بل يمسخون كتب غيرهم ويغيرون عليها .

مهما يكن من شىء ، فأنا من أنصار الديمقراطية والحرية ، ولا أحب أن أحجر على فكر الناس ، ولا على الطريقة التى يذيعون بها أفكارهم ، ولكن من واجب الناقدين أن يبصروا الجمهور بحقيقة ما يظهر من تآليف ، وقد كثر عندنا المتعلمون الذين يحسنون تقدير المؤلفين ... فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض .

أحمد فؤاد الأهوانى

جامعة فاروق الأول

كلية الطب

إعلان

تعلن كلية الطب بجامعة فاروق الاول عن وجود وظيفة معيد بالدرجة السادسة خالية بقسم الطب الشرعى بالكلية بالشروط الموضحة وتقدم الطلبات على الاستمارة رقم ١٦٧ ع . ح برسم عميد كلية الطب بإسكندرية فى ميعاد غايته ٣١ / ١٢ / ١٩٤٦ . ومن يكن موظفا بإحدى المصالح الحكومية فيقدمه عن طريق مصلحته .

١ — يشترط أن يكون حاصلا على بكالوريوس الطب والجراحة .

٢ — أن يكون سبق اشتغل بوظيفة طبيب امتياز بمستشفيات الحكومة .

٦٤٢٣